ورقة من تاريخ دعوتنا

بقلم: إبراهيم منير

في ذكرى الأخ الدكتور عبد الرحمن بارود

شقة الدقي– 2 -

انتهت بقدر الله مرحلة في أعمار مجموعة من الإخوة أطلق عليهم الجميع مسمى (الخمسات أي من قد حكم عليهم بخمس سنوات سجن)، كان منهم في السجون وممن حوكموا بسبب تبرعاتهم لكفالة أسر المسجونين والمعتقلين من جماعة الإخوان المسلمين مجموعة من الشباب السوداني والفلسطيني الذين كانوا يدرسون في مصر منهم الطبيب أبو بكر عثمان (السودان) والإخوة حسن عبد الحميد صالح، عبد الحميد النجار، عمر جبارة (فلسطين)، وكانت المحكمة التي أصدرت الأحكام برئاسة اللواء صلاح حتاتة ومثل الادعاء نائب أحكام عسكري برتبة (بكباشي) مقدم، ولم يحضر جلسات المحاكمة التي لم يتم الإعلام عنها في أي وسيلة إعلان محامون ولا جمهور وحضرها فقط مجموعة من الشرطة العسكرية لحفظ الأمن (والضبط والربط)، وهذه الجلسات يتم عقدها في المساء بعد انتهاء الضباط المكلفون من أعمالهم والعودة من بيوتهم للراحة في فترة الظهيرة، وتصدر الأحكام كما صرح رئيسها بأسلوب جلسات العرب (التعبير المصري للجلسات العرفية بين الأهالي) أي لا قانون ولا إجراءات قانونية ولا غيره كما قال رئيسها لأحد الإخوان الذي تجرأ وسأل عن ذلك في إحدى الجلسات، ورد عليه اللواء حتاتة مضيفا أنهم سموها (محكمة الشعب) لأن الشعب فوضهم طالبا منهم الخلاص من جماعة الإخوان المسلمين، ولعله كان قد اقتبس هذا التوصيف من رئيس الدائرة الأولى عضو مجلس قيادة الثورة (جمال سالم).

وهذه المحكمة بأفرادها وتشكيلها هي التي تولت إثم المشاركة في هذا الظلم لمجموعات سموها تنظيم يناير وتنظيم مارس وتنظيم يوليو (1955) بحسب الشهر الذي تم القبض على كل مجموعة فيه بتهمة العمل على قلب نظام الحكم وتدرجت أحكامها من الإعدام شنقا إلى الأشغال الشاقة المؤبدة والأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر سنة وعشر سنوات وخمس سنوات وثلاث سنوات، والسند القانوني الوحيد الذي قالوا أن هذه الأحكام قد حظيت به هو تصديق مجلس قيادة الثورة وقتها على الأحكام.

خمس سنوات مرّت على شباب أبرياء في غياهب السجون وكانت بالتأكيد وفي حساب البشر فترة قاسية على المصريين وعلى غير المصريين وخصوصا أن بعضهم لم ير أحدا من ذويه طوالها، اللهم إلا من خلال بعض الرسائل التي سمح بها النظام بعد المراجعة الأمنية الدقيقة من أكثر من جهة، وهو بالقياس

للإخوة الفلسطينيين لا يحدث مع أسرى هذا الشعب الموجودين في سجون الكيان الصهيوني حتى بالنسبة للذين قاوموه، وهؤلاء الشباب لم يدخلوا مصر لقلب نظام حكم فيها أو غيره ولكنهم كانوا قد تعرفوا على جماعة الإخوان المسلمين قبل أن يأتوا إليها للدراسة على حساب وكالة غوث للاجئين (الأونروا)، وحدثت أحداث عام **1954** فاعتبر كلٌّ منهم أن الواجب الشرعي والأخلاقي الملقى على عاتقه هو مد يد العون للمحتاجين من إخوانهم المصريين وخصوصا أنهم وبعد نكبة فلسطين التي عاشوها وأجبرتهم وهم صغار على ترك قراهم ومدنهم بعد دفن شهداءهم وحمل ما يستطيعون من متاع مع أمهاتهم ومن عاش من آبائهم وأجدادهم للرحيل إلى مخيمات اللاجئين، قد ذاقوا آلام المحن والتشريد وعرفوا معنى أن توجد عائلة بلا عائل وخصوصا إذا كان هذا العائل من الإخوان المسلمين الذين وقفوا إلى جانب شعبهم في أزماته ونكباته، وخاضوا معه معاركه ودفعوا ثمنها محنة **1948**م واغتيال المرشد الأول الإمام حسن البنا، ورقدت جثامين شهداءهم تحت تراب فلسطين لتزكي معاني المسارعة إلى نجدة الملهوف في نفوسهم والمساهمة ولو بقروش قليلة يقتطعونها مما يصل إلى أيديهم من وكالة الغوث وإيثار أسر إخوانهم المنكوبة على أنفسهم، وحتى على أهليهم ولو كانت الخيام التي تظلهم لا تقي بردا ولا قيظا، فاعتبرها النظام محاولة لقلب نظام الحكم!!.

... وكان الأمر بالنسبة لمن أصبح خارج السجون كمن ألقي به في صحراء شاسعة لا يدري أي الطرق يسلكها ليكون له فيها النجاة، والداعية إلى الله يعلم أنه إذا غابت عنه الجماعة أو غاب هو عن الجماعة فإن واجب العمل لدعوته لا يسقط ما دام قادرا واستطاع إلى ذلك سبيلا، وهذا هو فهم كل أخ أو أخت لمفهوم العمل في سبيل الله .. استرشادا ودون تعسف بمقولة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات .. ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ..).

وجاء قدر الله اللطيف لمن يسكنون القاهرة أو من يتردد عليها بسبب الدراسة والعمل أن الارتباط بالإخوة حسن عبد الحميد صالح، وعمر جبارة وعبد الحميد النجار كان سببا لقيادة الجميع إلى شقة سكنية بحي الدقي بالجيزة مجاورة لجامعة القاهرة، اتخذها بعض الإخوة الفلسطينيون سكنا مشتركا لهم، وكانت نقطة لقاء وتزاور يشعر فيها الأخ الخارج من السجن أنه قد وجد عشيرته بعد أن انقطعت به الصلة بينه وبين إخوانه في السجون، وأنه وجد معها مجموعات جديدة من الشباب الجاد الذين لم تشغلهم توافه ما يشغل أقرانهم، ولأنهم جميعا إما أنهم قد كانوا من الإخوان المسلمين قبل أن يفدوا إلى مصر مثل فقيدنا الراحل الدكتور عبد الرحمن بارود يرحمه الله رحمة واسعة، أو أنهم ممن لم يتأثروا بالدعايات المضادة للجماعة بعد أن أيقنوا بأنفسهم كذب كل ما كان يقال عنهم ومعظمهم إن لم يكن جميعهم كانوا قادمين

من قطاع غزة هاشم، وعمل على إيضاح الصورة الحقة أن أكبر قضية يعاني منها شعبهم وشعب مصر والشعوب العربية هي قضية الاحتلال الصهيوني لبلدهم، والذي لا يمكن وهم على ما هم عليه من وعي وما نزل بهم من نكبات يرونها على الأرض تصديق ما تقوله الأنظمة الحاكمة وإعلامها.

ساعات كان الجميع يختلسها للقاء في شقة الدقي كان بعضها بلا مواعيد مسبقة، يتسلل إليها الإخوة متحسبين رقابة الأمن، ومراعين لأوقات الطلبة وظروف الامتحانات وخصوصية سكان الشقة في لقاءات كان ترتيبها يؤكد أنها لقاءات تنظيمية خاصة بإخوان فلسطين كان يظهر في توقيتاتها وجوها جديدة لم تكن قد ضمتهم سجون النظام المصري أبرزهم هو الأخ هاني بسيسو الذي كان قد ترك مصر بعد إنهائه دبلومي الشريعة والقانون العام من جامعة القاهرة عام **1953** ورحل إلى منطقة الزبير بجنوب العراق ليعمل مدرسا بمدرسة خاصة مفضلا الانشغال بسمئوليته في التنظيم والعمل على تنشئة أجيال جديدة مكتفيا بدخل مادي قليل عن العمل بلسانس الحقوق وماجيستر القانون في أي دولة خليجية وكانت الفرصة متاحة أمام هذه الكفاءات في ذاك الزمان بشكل كبير وبدخول مادية تتجاوز أحيانا أكثر من مائة ضعف ما رضي به في سبيل الله، وظهر أيضا شيخ جليل تبدو في شخصيته معاني الأبوة والأخوة وكان ظاهرا أنه بما آتاه الله من مال (فقد كان أحد كبار التجار في فلسطين) يحرص على سد حاجات بعض الشباب ومساعدتهم ماديا وهو الحاج صادق المزيني، وقد تم اعتقاله بعد ذلك مع الأخ هاني بسيسو من داخل غزة عن طريق استدعائهما من الحاكم العسكري المصري (اللواء يوسف العجرودي) للقاء كل منهما منفردا وإخبارهما أن السلطات المصرية تطلب الاستماع إلى شهادة كل منهما في قضية خطيرة وأنه يعلم أن غزة ليست تابعة لمصر وأن القانون الدولي يمنع إجبارهما على الذهاب، وأن عدم ذهابهما سيضعه في موقف حرج ويعدهما بضمان عودتهما سالمين فور استماع السلطات المختصة لأقوالهما، وتم ترحيلهما إلى مصر في سيارات عسكرية ولم يكن الأمر كما قال الحاكم العسكري فقد وجد كل منهما نفسه أمام ضباط الشرطة العسكرية في السجن الحربي متهما بالعمل على قلب نظام الحكم في مصر (وليس في قطاع غزة..!!)، ولم يكن وعده لهما غير خداع لهما ولذويهما ولإخوانهما حتى لا يحدث اضطراب في غزة، وقدّموا مع الأخ عبد الرحمن بارود إلى محاكمة عسكرية عام **1965** لمساعداتهم المالية لأسر إخوانهم المصريين فكان من نصيب الحاج صادق المزيني (خمس سنوات) والأخ عبد الرحمن بارود (سبع سنوات) والأخ هاني بسيسو (ثلاث سنوات).

لم يكن الأخوان هاني بسيسو وصادق المزيني وحدهما اللذان برزا كوجوه زائرة لشقة الدقي، وإنما برزت معهما وجوها أخرى فلسطينية كان بعضهم يأتي زائرا بعد أن أنهى دراسته بمصر والبعض الآخر كان يدرس في جامعات أخرى غير جامعة القاهرة وأصبحت بعد ذلك رموزا للعمل الفلسطيني ولمعت في

ساحاته وفي وسائل الإعلام المحلية والعالمية، وكان الجميع وقتها يرون أن انتماءهم لجماعة الإخوان المسلمين فكريا أو تنظيميا هو الأقرب لنفوسهم وهو الذي يضع لهم معالم طريقهم لاسترداد حق أضاعته سنوات اغتراب فكري دخلته الأمة بعد أن أصبحت شريعة الله سبحانه وتعالى غريبة على الأرض يحاربها القريب والبعيد وكأنهم قد اتفقوا عليها جميعا، ولا يتجاوز الحقيقة الآن من يقول أن حقبة الستينيات من القرن الماضي التي عاشها هؤلاء الشباب قد حملت من سلبيات العمل الوطني في مصر والعالم العربي أكثر من إيجابياته، ومحنة من عرف هذه الحقيقة في وقتها مع دخول عام **1960** وبدايات فشل وحدة مصر وسوريا إضافة إلى تداعيات العدوان الثلاثي عام **1956** لا يتصورها الآن من يكتب التاريخ بعيدا عن لسعات النار التي كانت تحرق جلود وأجساد الطائفة الأولى الذين كانوا يرون الحقيقة الواقعة على الأرض ويرون ركام الانهيار القادم وغباره ولا يستطيعون الجهر به لسطوة الأنظمة وإعلامها واستغراق الجماهير في سكرات أهازيج وأفراح الانتصارات الواهمة التي كانوا يأملونها فعاشوها بكل كياناتهم ... ومن القضايا التي استغرقت وقتا وساهمت بلورتها في تحديد رؤى الشباب وخصوصا المهتمين بقضية فلسطين لمستقبل عملهم ودفعتهم دفعا لمحاولة أخذ المبادرات بأيديهم من خارج أطر الأنظمة كانت النقاط التالية:

1- الصراع الذي افتعلته الأنظمة بين القومية العربية التي أصبحت عنوانا لمرحلة العمل السياسي والهوية الإسلامية لشعوب المنطقة (نصارى ومسلمين) بسبب التركيز على أن القضية العربية هي الجامع الوحيد لشعوب المنطقة وبما تحمله من أفكار وأيديولوجيات تتجاوز مرحلة (الجمال والبغال والحمير) كما كان يُطلق البعض على مرحلة انتشار الإسلام، متغافلين أن المنطقة تشمل عرقيات كالأكراد والبربر والزنوج والنوبيين، والمبالغة في اتهام من يقدم أفكار الإسلام وهويته على القومية العربية أو حتى ينادي بأنه لا تناقض مصيري بينهما بالتخلف والرجعية، فالإسلام كدين يمثل ديانة الأغلبية وكثقافة يمثل تاريخيا ثقافة المنطقة كلها وهي ثقافة لا تعرف نفي الآخر بل تعترف به، وازدادت هذه المعركة والاستقطاب مع ارتفاع أصوات الماركسية في جنوب اليمن وغيرها وبعثية في منطقة الشام وناصرية ازداد بريقها مع ازدياد شعبية الرئيس جمال عبد الناصر، فتاهت الحقيقة وسط الناس ودخلت الشعوب العربية في ما يشبه حالة التيه.

2- الحرب المعلنة على التيارات الإسلامية كضرورة تقتضيها مرحلة تنظيف الساحة أمام باقي الأيديولوجيات الجديدة التي ترى في أفكار التيارات الإسلامية وخصوصا جماعة الإخوان المسلمين العقبة الكؤود أمام كل منها، وزادت هذه الحرب حدة عندما هاجم الرئيس المصري بنفسه شيوخ الإفتاء واتهمهم بأنهم يفتون لمن يدفع لهم رشوة، وتكرر الهجوم وكان أبرزه في مؤتمر المائة الذي عُقد في القاهرة عام **1962**م للإعداد لقيام الاتحاد الاشتراكي وإعلان ميثاق العمل الوطني.

3- الاستقطاب الحاد بين ما سمي وقتها دولا تقدمية ودولا رجعية وصل إلى حد الحرب والمعارك العسكرية، وكان ذروتها حرب الجيش المصري في اليمن بعد الإطاحة بالإمام البدر الذي كان يسعى إلى الوقوف إلى جانب الوحدة العربية، وجاء انقلاب المشير عبد الله السّلال والاندفاع المصري لتأييده بعد فشل الوحدة مع سوريا ليكون سبيلا للضغط على المملكة العربية السعودية ردا على ما قيل وقتها عن دورها في فشل الوحدة وعن محاولة اغتيال الرئيس المصري.

4- تأميم الأنظمة للعمل السياسي في بلادها وتفريغ إعلانات الاستقلال من مضامينها واعتبار كل معارض لسياسات رئيس النظام ولو بمجرد الكلمة خائنا لبلاده، وبدأت مرحلة تعقب الأنظمة للكثيرين ممن ساهموا في استقلال بلادهم، وشهدت المنطقة إغتيالات ومطاردات داخل المنطقة وخارجها تقوم بها أنظمة رسمية، ومحاكمات غير قانونية ولا دستورية وأحكام إعدام وتشريد، واستعاد الجميع تعبيرا عربيا قديما يبكون فيه على ما كانوا يجدونه على أيدي من كانوا يحكمونهم قبل إعلانات الاستقلال (ربَّ يوم بكيته منه .. فلما مضى بكيت عليه).

5- فلسطين .. قضية القضايا:

مع بداية الستينات لم تكن حرب 1956م التي أُطلق عليها مسمى (العدوان الثلاثي على مصر) قد التأمت جراحها بعد عند الشعب الفلسطيني وعند من يوقنون أن فلسطين هي قضية القضايا للأمة العربية والأمة الإسلامية والإنسانية جمعاء بسبب الشياطين الذين يقفون خلف المشروع الصهيوني، وكان مما يدفع صاحب الوعي اليقظ إلى ضيق الصدر أن حجم التغطية على نتائج هذه الحرب الكارثية كان ضخما ومنظما وخبيرا لدرجة أن الشعوب أيقنت لما كانت تسمعه من حملات الدعاية التي تصب في آذانها صبا أن العدوان قد باء بالخسران المبين وأنه لم يحقق أهدافه لأنه لم يستطع أن يسقط النظام، ليستعيد الناس مشهدا من مسرحية أمير الشعراء أحمد شوقي في رائعته الشعرية (كليوباترا) وهو يصف حجم الاستقبالات الضخمة للحاكم الروماني أنطونيو زوج الملكة المصرية كليوباترا عندما عاد مهزوما من آخر معاركه مع الجيش الروماني، وعندما روجت الملكة ونظامها أنه قد انتصر، فأدخلوا بقايا الأسطول المحطم مع جنوده إلى الميناء سرا وفي جوف الليل حتى لا يراهم أحد، وجعلوا الاستقبال في وضح النهار ليبدأ الهتاف وتبدأ الأغاني والأهازيج، ليقول الرجل الواعي البصير لصاحبه واسمه (ديون):

انظر الشعب ديون كيف يوحون إليه
ملأ الجو هتافا بحياتي قاتليه
أثر البهتان فيه وانطلى الزور عليه
يا له من ببغاء عقله في أذنيه

وتلخصت الآثار الكارثية لهذه الحرب في ما أخفته الأنظمة على شعوبها وفي نقاط محددة تالية:

أ- أن شبه جزيرة سيناء قد أصبحت منطقة منزوعة السلاح لا يستطيع الجيش المصري إعادة تأهيلها عسكريا بما يناسب أي معركة قادمة.

ب- أن وجود القوات الدولية لأول مرة على الحدود قد أمّن حدود الكيان الصهيوني.

ج- أن اتفاقية الانسحاب التي فرضتها الولايات المتحدة على الجميع قد تضمنت إجبارا للنظام المصري بمنع أي عمل عسكري أو فدائي من قطاع غزة، ليبقى لغز اغتيال المقدم مصطفى حافظ مسؤول المخابرات المصرية في القطاع عن طريق طرد ملغوم قيل وقتها أنه تسلمه من عميل إسرائيلي مصري مزدوج عنوانا لسياسة كل من النظامين المصري والأردني بتحريم حمل السلاح على الفلسطينيين للدفاع عن أنفسهم في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة ومؤشرا عند الشباب أنه تهيئة لمرحلة قادمة يحتل فيها الكيان الصهيوني الأرض وهي عزلاء مع ضمانة انسحاب الجيوش العربية أمامه كما حدث عام **1948**م ثم بعدها بثمانية سنوات عام **1956**م.

د- أن فتح خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية وبحراسة قوات دولية قد أعطى الحياة للمنفذ البحري الصهيوني على البحر الأحمر (إيلات) والذي كان يسمى قرية (أم الرشراش) قبل احتلاله وفتح الباب واسعا أمام الكيان الصهيوني لكسر العزلة مع إفريقيا والتواصل معها، وتأمين خطوطه الاستراتيجية حتى باب المندب جنوب البحر الأحمر مما سيعطيه أرضا جديدة وأوراقا أكثر قوة يستطيع بها مستقبلا خنق مصر والسودان في الأساس وتهديد الدول المطلة على البحر الأحمر بشكل عام التي تشاهد موانيها رايات سفنه العسكرية والمدنية وهي ترفرف بحرية وأمان فيه.

هـ- أن معارك الهوية في المنطقة العربية في مواجهة مشروع صهيوني عقائدي قد عملت على إفقاد قطاعات كبيرة من الشعب العربي وعيه مما جعل بعض التيارات الماركسية العربية تقف إلى جانب هذا المشروع ليزداد الضغط على جروح الشعب الفلسطيني وإحداث الفرقة بين صفوفه، مع إصرار الأنظمة على احتكار التحدث باسمه وحرب كل من يخرج عن سياساتها في الضفة التابعة للأردن وقطاع غزة التي يديره حاكم عسكري مصري.

و- أن المغامرة العكسرية لمصر في اليمن والتي بدأت عام **1962**م قد قدفت بمصر فعليا وهي القوة العربية الأكبر خارج ساحة الصراع مع الكيان الصهيوني لما ستسببه من آثار عسكرية واقتصادية واجتماعية وسياسية سلبية على مصر الدولة، وتجعلها عاجزة عن مواجهة أي مغامرة عسكرية جديدة للكيان الصهيوني.

ز- أن الأخطر فيما يخص الفهم نفسه لأبعاد الموقف أن تُسَوِّق الأنظمة لشعوبها مقولة أنها وبعد كل هذا قد أصبحت أكثر استعدادا لمواجهة الكيان الصهيوني، متغافلة عن استعدادته الحقيقية لإعادة الهجوم، وهو ما كان يدركه الشباب ويتابعونه ويحرق جلودهم وقلوبهم.

ح- أن تمثيل الشعب الفلسطيني في جامعة الدول العربية عن طريق السادة أحمد حلمي عبد الباقي ثم أحمد الشقيري لم يضف إلى القضية نفسها شيئا، بل كانت حسب رؤية الشعب الفلسطيني نفسه أنها تعمل فقط على تفريغ ما في نفسه من شحنة غضب وإعطاء الأنظمة العربية التي خذلته في كل تاريخه المبرر لاستمرار الضغط عليه باعتبار أن قضيته ما زالت أمامها على طاولة لقاءاتهم، وجسّد هذا الأمر أن الرؤساء العرب لم يجتمعوا ليصدروا قرارات شجبهم والشكوى للأمم المتحدة عام **1964** ضد الكيان الصهيوني إلا بعد أن أتم تحويل مجرى بحيرة طبرية.

ومرّت السنين سراعا وأنهى كل من الأخ حسن عبد الحميد صالح والأخ عمر جبارة وبعض الشباب الآخر دراساتهم وانتقلوا إلى دول الخليج، وفي دولة الكويت بشكل أخص تواصلت على أرضها اللقاءات شارك فيها وجوها جديدة من الإخوة المصريين (كمال القزاز وعصام الشربيني والشهيد صلاح حسن)، ومن أهل الكويت الكرام أمثال عبد الله علي المطوع وبعض الوجوه الوطنية وظل هاني بسيسو على الطريق معهم وبقي في القاهرة عبد الرحمن بارود لتبدأ مرحلة جديدة من العمل الفلسطيني عام **1964**م، وبمقاييس تحاول ألا تحمل في مضامينها أسباب مرحلة التيه التي تعيشها الأمة حتى لا يضيع الجهد ثم يعود الناس بعدها إلى نقطة الصفر، وجرت الأحداث بما عرفه الناس وعلى أيدي الوجوه التي كانت أحوال الأمة تحرق جلودهم وقلوبهم .. ومن هذه الوجوه من ظل على قناعته مستمسكا بها حتى لقي ربه، ومنهم من حاول بضغط الأحداث التي كان ولابد منها أن يستظل بمظلات أخرى حتى انتهت الأمور إلى ما تعيشه قضية فلسطين الآن، ومع كتابة هذه السطور بعد أكثر من خمس وأربعين سنة لا يستطيع مكابر أن يتجاهل أن الواجب هو العودة إلى الطريق الصحيح والسوي الذي لا بديل له وكانت جدران شقة الدقي في القاهرة التي ظلت نقطة الانطلاق المجهولة شاهدة عليه قبل أن يفارق مواثيقها ومفاهيمها هؤلاء البعض.

شقة الدقي - 3-

.. وجاء عام **1965** بأحداث جسام في مصر وكان الأخوين حسن عبد الحميد صالح وعمر جبارة قد غادرا مصر بعد إنهاء دراستيهما، وبقي الأخ عبد الرحمن بارود ليواصل الانتهاء من دراسة الدكتوراه في الأدب العربي بمنحة كاملة من جامعة القاهرة كمكافأة له على نجاحه في درجة الليسانس

بدرجة جيد جدا مع مرتبة الشرف وبالترتيب الأول على دفعته، وللتذكير فلسنا بصدد الكتابة عن السير الشخصية لهؤلاء الرجال العظام الذين لقوا ربهم غير فاتنين ولا مفتونين ولا مبدلين، فالمعجم القيم للأستاذ المستشار عبد الله العقيل (من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة) قد تكفل بهذا، ولكننا بصدد إلقاء الضوء على بعض النقاط في صفحة من صفحات تاريخ جماعة الإخوان المسلمين تظهر فيها قيمة هذه المدرسة في صناعة الرجال الذين لم تخدش المصائب والكوارث التي تزلزل الجبال صفاء الإيمان بالله عز وجل في قلوبهم، ولا أوهنت البيعة معه سبحانه على العمل للإسلام وقضاياه بثبات وتجرد وتضحية.

إرهاصات الأحداث بدأت بمقال نشرته مجلة (نيوزويك) الأمريكية في الشهر السابع تحدثت فيه عن أزمة سياسية يعيشها نظام الحكم وأن البديل للرئيس المصري وقتها هو العقيد رشاد مهنا أحد الضباط الأحرار وتم تعيينه في لجنة الوصاية على العرش الملكي بعد أحداث **23 - 7 - 1952**م، وبدا وكأن الأمر فيه تخويف للنظام ودفعه لاتخاذ إجراءات محددة، وفعلا تم اعتقال رشاد مهنا مع مجموعة من الضباط المتقاعدين وبعض المدنيين من أصدقائهم وسيقوا جميعا إلى السجن الحربي، وبعدها وفي شهر أغسطس / آب انتقل إلى رحمة الله رئيس حزب الوفد مصطفى النحاس وخرجت جماهير غفيرة من مختلف أطياف الشعب وبغير تنظيم لتشييع جنازته من مسجد عمر مكرم وسط القاهرة، وبسبب القهر السياسي القائم وقتها والحزن على الرجل وأيامه ردد بعضهم شعارات معادية للنظام منها: (لا زعيم بعدك يا نحاس) و(إشكي الظلم لسعد يا نحاس) و(سعد) هو(سعد باشا زغلول) أحد زعماء ثورة **1919**م وأول رئيس لحزب الوفد .. وعندها تولى مكتب القائد العام للقوات المسلحة مسؤولية مواجهة المعارضة مع استمرار توليه لمسؤولية مواجهة ما سموه الإقطاع وإجراءات فرض الحراسات على الأموال والممتلكات مع الإشراف على مرفق النقل العام بالعاصمة في الوقت الذي كانت القوات المصرية تخوض حربا في اليمن لا نهاية واضحة لها في الأفق، ونشطت الشرطة العسكرية في تنفيذ المهام الجديدة الموكولة إليها وفُتحت أبواب السجن الحربي لتستقبل أفواج المعتقلين الجدد من أنصار رشاد مهنا ومن يُظن أنهم قد شاركوا في تشييع جنازة مصطفى النحاس وكان موقف بعضهم الصعب أن أصواتهم كانت فيها بحّة بسبب نزلات برد أو غيرها فأصبحت دليلا على مشاركتهم في الهتاف .. وتواصل الاعتقالات لتشمل حسين توفيق وهو الذي سبق أن قام بمشاركة الرئيس الأسبق أنور السادات باغتيال وزير المالية المصري أمين عثمان عام **1946**م واعتقل معه شقيقه وبعض أقاربه، ووُجهت إلى كل مجموعة تهمة العمل على قلب نظام الحكم، ثم جاء الدور على المجموعات والرموز الإسلامية وكان أشهرها الشيخ محمد الأودن أحد أكبر علماء الأزهر في زمانه وتم اعتقاله مع أولاده الذكور جميعا، ولم يسلم بعض علماء الجمعية الشرعية وأفراد من جماعة الدعوة والتبليغ من إجراءات مكتب المشير، حتى وصل الأمر إلى جماعة الإخوان المسلمين وصدور قرار جمهوري باعتقال

كل من سبق اعتقاله من أفرادها حتى ولو كان هذا الاعتقال قد تم في عهد الملكية وطبقا للقوائم التي يحتفظ بها الأمن السياسي في الدولة دون إهمال أو تفريط، وامتلأت السجون والمعتقلات بالآلاف وكان السجن الحربي من نصيب الأخ عبد الرحمن بارود ليلحق به أخواه الأستاذ هاني مصطفى بسيسو والحاج صادق المزيني مع باقي إخوانهم المصريين الذين جرت عليهم جميعا أحداث وإجراءات هذا السجن الذي كتب عنه الكثيرون، ولكننا مع استعادة هذه الأيام بالنسبة لهؤلاء الرجال الثلاث نجد أن محنتهم كانت بالتأكيد مضاعفة لأنهم - إذا صحت الاتهامات التي تم توجيهها إلى أعضاء جماعة الإخوان المسلمين وعلى أساسها تم إعدام الشهيد سيد قطب وإخوانه - لم يكن في وارد أحد منهم أن يكون رئيسا بديلا للجمهورية ولا أن يكون وزيرا أو صاحب منصب رسمي فيها، فقضيتهم بالأساس هي فلسطين وتحريرها ثم إن ما قاموا به من إغاثة لأسر منكوبة هو واجب إنساني إن لم يكن إسلامي.

ولأن محنة 1965م - 1974م جرى فيها أعظم كارثة جرت على فلسطين ضاعت فيها غزة والضفة والقدس وهؤلاء الإخوة الثلاث أسرى لدى الجيش المصري في سجنه يواجهون سياطه وعذابه بلا نهاية محددة لهذا العذاب وهناك على أرض غزة أهليهم وأرحامهم وأموالهم وأولادهم لا يدرون عنهم شيئا بعد أن انسحب الجيش للمرة الثالثة تاركا للعصابات الصهيونية الأرض والعرض يستبيحونهما كما يشاؤون، وكان الأمر في حقيقته أثقل مما تتحمله الجبال الرواسي ولولا الإيمان بالله عز وجل الذي ملأ نفوسهم والرضا بقضائه لتبدل حالهم وفقدوا عقولهم.

ونقف أمام أحداث محددة جرت لهؤلاء الإخوة وهم في محبسهم تاركين للقارئ والتاريخ تخيل قامات هؤلاء الرجال والوقوف على جوهر المعادن التي يصقلها الإيمان:

- في ذروة تنكيل النظام بالإخوان في السجن الحربي الذي ورثه الجيش المصري عن قوات الاحتلال البريطانية، وفي القسم الذي كان يُطلق عليه مسمى السجن الكبير المكون من ثلاثة طوابق على شكل مربع يشغل الجنود بعض غرفه على جانبي مدخله يراقبون من خلالها كل الزنازين في الطوابق الثلاثة والتي تزيد عن المائتين، وفي غرفة فسيحة مهيئة بجوار غرف الجنود يرى ساكنها ويراقب كل حركة وسكنة في هذا السجن أقام أسير إسرائيلي (حسب تعريف الجنود له) عدة شهور لا تغلق أبواب غرفته ليلا أو نهارا ومسموح له بالذهاب إلى دورة المياه في أي وقت يشاء (النظام في السجن الحربي يسمح بالذهاب إليها مرتان في اليوم فقط واحدة في الصباح والثانية قبل الغروب)، ويتسلمه الصليب الأحمر الدولي يومين في الأسبوع من الصباح حتى المساء ليقوم بجولة ترفيهية خارج السجن منها التردد على بعض دور السينما ومشاهدة أفلامها ثم يعود ليقضي باقي الأسبوع جالسا شاهدا ومراقبا لما يجري أمام عينيه من طوابير التعذيب والجهد المبذول فيها.

.. ومع هذا الاستفزاز الدنئ فقد كانت الأسئلة كثيرة منها لماذا أصر النظام على أن يكون اعتقاله في السجن الكبير وليس في أي قسم آخر من أقسام السجن الحربي والتي كانت أسواره تضم أربعة سجون أخرى، وهل كان الرجل أسيرا بالفعل أم أنه كان مبعوثا ليراقب ما يتم تنفيذه على جماعة الإخوان المسلمين، والأمر الأشد مرارة ومفارقة عند الإخوة الفلسطينيين عند مقارنة الإجراءات التي تتخذ بحقهم وهم العرب والمسلمون ويتمتعون بنفس الحقوق الدولية التي يجب أن يحرص عليها الصليب الأحمر الدولي ثم يرون انفراد الأسير العدو بهذا الكرم من الضيافة ووافر الرعاية، وهي مفارقة كانت تستدعي كل مفاهيم السخط والبحث عن كل أسباب الشك والتأويل، ومع ذلك لم تقهرهم هذه الإجراءات.

- بعد المؤتمر الصحفي العالمي الذي عقده الرئيس المصري في **1967/5/25**م وأُجبر الإخوان على الاستماع إليه جلوسا على رمال السجن نودي أثناء طابور الصباح على من صدرت عليه أحكام بالأشغال الشاقة وأن عليهم أن يتقدموا خطوة إلى الأمام .. وتقدم هؤلاء الإخوة ولعل الأخ عبد الرحمن بارود كان من بينهم، وقام الجنود باختيار البعض وفي طابور عسكري معتاد ساروا إلى خارج السجن الكبير دون أن يدري أحد أين يذهبون مع الظن بأن الأمر يتعلق بإتمام بناء السكن الجديد لقائد السجن الحربي في قطعة الأرض الزراعية التي تحتويها أسواره، ولكن الطريق اختلف لينتهي السير أمام مبنى كنيسة قديم كان يستخدمه الجنود البريطانيون وتم تكليف الإخوة بإعادة تأهليه وإعداده لاستقبال أسرى الجيش الصهيوني الذين سيتم أسرهم إذا حدثت معارك وهو ما تم إبلاغه للجنود المشرفين على العملية وتسرب منهم إلى الإخوان بنوع من الزهو والافتخار، وانتهى الأمر على عجل وقبل أن تبدأ المعارك تم إشغال المبنى القديم المكون من صالة كبيرة مفتوحة ودورة مياه واحدة بعشرات من أهل غزة منهم رجال ونساء وأسر بكاملها قيل أنهم معارضون وطابور خامس وهو ما لم يصدقه الإخوة الفلسطينيون الذين يعلمون طبيعة أهلهم في غزة وأنه لا يمكن أن تكون أسر كاملة بهذا الوصف ولم يستطع أحد من الإخوان إخفاء استنكاره من حشر هؤلاء الناس وبهذه الصورة في صالة واحدة دون مراعاة لحرمة أو حدود شرعية أو حاجات بشرية وتضاعف هذا الإحساس عند الإخوة الفلسطينيون زاده الخوف من أن تكون أسرهم أو أحد من ذويهم من بين هؤلاء المساكين الذين لم ترحمهم إجراءات النظام دون مراعاة لقوانين محلية أو دولية.

- وجرت الأيام سريعا وفي الساعة العاشرة تقريبا من صباح اليوم الخامس من يونيو **1967**م اهتز السجن الحربي بقنابل سقطت على مطار الماظة الحربي القريب منه، وفهم الجميع مع التوتر الذي ساد جنود السجن وضباطه أن كارثة قد وقعت وأن وصول الطيران الإسرائيلي إلى قلب القاهرة يعني أن غزة قد ضاعت، وكانت ساعات عصيبة على الجميع لا يمكن وصفها بالنسبة للإخوة الفلسطينيين، أبلغها عند رؤية الشيخ الجليل الحاج صادق المزيني القعيد بسبب جروح التعذيب في رجليه وأعينه تفيض بالدمع حزنا

على فلسطين مع ترديده الدائم حسبنا الله ونعم الوكيل، يا رب سلم، يا رب استودعك الأهل والعرض والأرض.

- في هذا الجو الذي لا يستطيع كاتب أن يصفه بانفعالات البشر مهما كان إيمانهم، وبتصرفات الآخرين الإجرامية مهما كانت أهدافهم، سرت بين الجميع هواجس موازين الإيمان والكفر والظلم والفسق، وظلت الغالبية العظمى بفضل الله محتفظة بنقاء الإيمان وصفائه وبالتعالي عن جراح البدن خوفا من جراح النفوس والقلوب، وكان المقياس أو الميزان الرئيس هو الالتزام بشرع الله وما نزل في كتابه سبحانه وتعالى وما ورد عن رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يشذ أصحاب المحنة المضاعفة وهم الإخوة الفلسطينيون الذين قطعهم النظام المصري عن أرضهم وأهلهم، وأفقدهم بحكم الواقع وما نتج عن كارثة 1967م رؤية تاريخ محدد يلتقون فيه بأهلهم وعشيرتهم وإخوانهم عندما يدوسون بأقدامهم بأمن تراب أرضهم .. غزة هاشم .. أرض الشهداء والتضحيات والفداء، فلم يقع أحدهم في فتنة التكفير بغير دليل شرعي وأصبح يقينهم بأن النجاة من هذه الفتنة هو تحكيم شرع الله مهما كانت جراحهم والمظالم التي وقعت عليهم.

- وجرت الأحداث بما يعرفه الجميع وسجلته الكتب والمقالات والدراسات ولقي الأخ هاني مصطفى بسيسو - يرحمه الله - ربه في سجن مزرعة طرة بعد أن أنهى مدة محكوميته (ثلاث سنوات) وتم ترحيله إلى المعتقل تنفيذا للقرار الجمهوري باعتقاله مدى الحياة برغم أنه لا يحمل الجنسية المصرية، وخرج الحاج صادق المزيني والأخ عبد الرحمن بارود إلى الدنيا بعد أن أذن الله سبحانه وتعالى فلم ينكص أحد منهم على عقبيه وواصل كل منهما طريقه في دعوة الله محتسبا كل ما وقع عليه عند الله سبحانه وتعالى مستمسكا ببيعته لجماعة الإخوان المسلمين وليلحق الجميع بعد ذلك بالكثيرين ممن استضافتهم جدران شقة الدقي، الدكتور حسن عبد الحميد صالح، المهندس عمر جبارة، وغيرهما يرحمهم الله جميعا ويلحقنا بهم في الصالحين.

كلمات نسوقها لإخواننا وإن كانت موجزة وقليلة ولكن كل ساعة في تاريخها تحتاج إلى مؤلفات وكتب ومعاجم، لا نجد فيها أشخاص حتى لا يضيع ثوابهم عند الله سبحانه وتعالى ولكن ليقف الجميع على لمحات من تاريخ دعوتنا وليوقنوا أن الله بالغ أمره وأن لكل شيء قدرا.